المبحث الأول

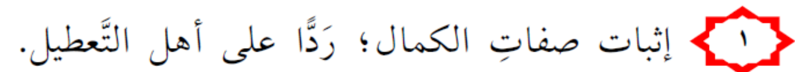
العَلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصِّفات وأن توحيد العبادة لا يتمّ إلا بإثبات الصِّفات؛ وكُلُ مُعطّلٍ فلابُدّ أن يكون مُشرِكًا، وأن التَّعطيل شَرٌّ من الشِّرك

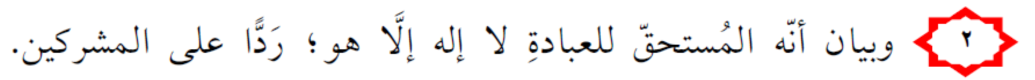


المبحث الأول

العَلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصِّفات، وأن توحيد العبادة لا يتمّ إلا بإثبات الصِّفات؛ وكُل مُعطِّلٍ فلا بُدّ أن يكون مُشرِكًا، وأن التَّعطيل شَرٌّ من الشِّرك

قَرَّرَ أهلُ السُّنة أن توحيدَ العِبادة لا يتمّ إلَّا بإثبات أصلينِ عظيمين هما:


١ إثبات صفاتِ الكمال؛ رَدًّا على أهل التَّعطيل.


٢ وبيان أنّه المُستحقّ للعبادةِ لا إله إلَّا هو؛ رَدًّا على المشركين.

فالعلاقةُ بين توحيد الأسماء والصِّفات وتوحيد الألوهية لا تنفكّ؛ كما بيَّنَ ذلك أهل السُّنة، وأنه لا يتمّ أحدُ التَّوحيدين إلّا بالآخر.

ولهذا ترى كثيرًا مِن أهلِ الكلامِ ممن وقعَ في مُخالفاتٍ في بابِ الأسماءِ والصفاتِ؛ لا يخلو غالبًا مِن الوقوع في الشِّرك بنوعيه الأصغر والأكبر في بابِ العبادةِ وتوحيد الله تعالى.

وذلك لأمور:

١ أنّهم لم يهتدوا إلى معرفة توحيد الألوهية والعبادة بمعناه الصَّحيح؛ بل ولا وجود لذكرِهِ عندهم في مُصنَّفاتِهم!!

٢ أن التوحيد عند أهل الكلام هو الشَّهادة لله تعالى بالرُّبوبية.

٣ - أن الشِّركَ عندهم هو شِرك الرُّبوبية.

٤ - أن صرفَ العبادة ـ كالدُّعاء، والخوف والرَّجاء، والمحبَّة، والعبادات العملية المتعلّقة بالجوارح ـ لا تكون شِركًا عندهم إذا لـم يعتقد استقلالية المعبود بالرُّبوبية!

٥ - أن الشِّرك في توحيد الأسماء والصِّفات عندهم هو: إثبات صِفات الله تعالى.

وبيان ذلك أن التوحيد عند المتكلِّمينَ مِن الأشاعرة وغيرهم ثلاثة أقسام:

١ - توحيدُ الله في الذّاتِ؛ فلا قسِيمَ له، ولا تركيب، ولا تبعيض، ولا تعدد، ولا تجزؤ.

ويُدخِلون في نفي التَّقسيم والتَّبعيض: نفي صِفات الله تعالى، مِثل: الوجهِ، واليدينِ، والقدمِ، والسَّاقِ، والعَينينِ، ونحو ذلك.

وستأتي الأمثلة على ذلك من أقوالهم في المبحث الخامس عشر.

٢ - توحيد الله في الصِّفات، فلا شَبيهَ له.

ويُدخِلون في هذا القسم نفي صفة: الرَّحمة، والرِّضا، والغضب، والفرح، والضَّحك، والعجب، والاستواء، والنُّزول، والمجيء، وغيرها، لوجود التَّشبيه فيها.

فالتوحيد عندهم: هو إنكارها وتعطيلها باسم التأويل الذي هو في حقيقته تحريف، وأما الشرك عندهم: فهو في إثباتها.

ولهذا ترى الرَّازي ـ وهو من أئمة الأشاعرة المتأخرين ـ في «تفسيره» (٢٧/ ١٣٠) يُسمِّي «كتاب التَّوحيد» الذي ألَّفه ابن خُزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ في إثبات صفات الله تعالى: (كتاب الشِّرك)!!

فهذان القسمان مِن أقسام التَّوحيدِ عند المتكلِّمين يُقابله عند أهل السُّنة: توحيدُ الأسماء والصفات.

٣ توحيد الله في أفعالِه، فلا شَريكَ له.

ويقصدون به: توحيد الرُّبوبية، ويُنكِرون بعد ذلك أي وجود لتوحيد الألوهية والعبادة!!

فلم يعدوا توحيد الألوهية الذي بعثَ الله به الرُّسل، وأُنزِلت به الكُتب مِن أقسام التَّوحيد، وليسَ له عندهم نَصيبٌ ولا ذِكرٌ في أقسامِ التوحيد!!

وإذا ذُكر عندهم، فسَّروه وعرَّفوه بتوحيد الرُّبوبية.

فهم يعتقدون: «أن الإلٰه بمعنى: الآله اسم فاعل، وأن الإلٰهية هي: القُدرة على الاختراع، كما يقوله الأشعري وغيره ممن يجعلون أخصّ وصف الإله القُدرة على الاختراع».

[«درء التعارض» (٩/٣٧٧)]

ولهذا صرَّحَ المتأخِّرون منهم بذلك؛ فهذا **أحمد زيني دحلان** يقول في رَدِّهِ على أئمة الدَّعوة: (وأمّا جعلهم التَّوحيد نوعين: توحيد الرُّبوبية، وتوحيد الألوهية؛ فباطل أيضًا، فإن توحيد الرُّبوبية هو توحيد الألوهية.

[«الدرر السنية» (ص ٤٠)]

بل عدوا التَّفريق بينهما بدعة أحدثها ابن تَيمية وتابعه عليه مَن بعده.

فقال **أبو حامد بن مرزوق**: (توحيد الألوهية وتوحيد الرُّبوبية الذي اخترعه ابن تيمية، وزعم أن جميع فِرق المسلمين من المتكلِّمين عبدوا غير الله لجهلهم توحيد الألوهية، ولم يعرفوا مِن التوحيد إلَّا توحيد الرُّبوبية؛ وهو الإقرار بأن اللهَ خالقُ كُلّ شيءٍ، وزعم أن هذا اعترف به المشركون، فكفّر به جميع المسلمين، وقَلّده فيه محمد بن عبد الوهاب).

[«التوسل بالنبي ﷺ وجهلة الوهابين» (ص٢٠)]

قلت: ولما وجدوا هذا القول لا يتوافق مع الآيات الكثيرة التي تصف المشركين بأنّهم الذين عبدوا غير الله تعالى، وتجعل حقيقة التوحيد:

إفراد العبادة لله وحده، والشِّرك: صرف العبادة لغيره، حاولوا التوفيق بينهما:

فزعموا أن العبادة لا تكون عبادة إلّا إذا تضمنت اعتقاد الرُّبوبية لمن صرفت له، وإلّا فليست عبادة حتى ولو جمعت الذُّل والخضوع والمحبة والتأله!!

قال القضاعي الأشعري في كتابه «البراهين السَّاطعة»: إن مُسمى العبادة شرعًا لا يدخل فيهِ شيءٌ مِن التوسل والاستغاثة وغيرهما؛ بل لا يشتبه بالعبادة أصلًا، فإن كُلّ ما يدلّ على التعظيم لا يكون عبادة إلّا إذا اقترن به اعتقاد الرُّبوبية لذلك المعظَّم.

وقال: إن الدُّعاء ـ بمعنى النِّداء ـ إن كان لمن لا يعتقده ربًّا فليسَ مِن العبادة في شيءٍ (!!) .. وإن اعتقد ربوبيته، أو استقلاله بالنَّفع والضُّرّ، أو شفاعته عند الله بغير إذن الله؛ فهو عِبادة لذلك المدعو .. اهـ.

ولهذا ظنُّوا أن مَا وقع فيه المشركون إنّما وقعوا فيه لاعتقاد الرُّبوبية في أصنامِهم، فقال أحدهم: (إنّما كفرَ أهل الجاهلية بعبادةِ الأصنام؛ لتضمنها اعتقادهم ثبوت شيءٍ مِن صِفاتِ الرُّبوبية لها)!!

ويقول آخر: (فهل سمعتَ عن أحدٍ من المستغيثين أنَّه يعتقدُ في الرسول ﷺ، أو في الولي المستغاث به أنَّه إلٰه مع الله تعالى يَضر وينفع ويشفع بذاته، كما يعتقد المشركون فيمن عَبدُوه؟).

ففتحوا للعامّة أبواب الشِّركِ على مصراعيها؛ بل ودعوا إليها، كما قال علوي الحداد: (وينبغي اليوم في هذا الوقت مِن الحوادث التي حدثت في الثلم في الدِّين باعتقاد العامّة قول البدعي أنّ الاستغاثة شِرك (!!)، فالعالم والمُقتدى بهِ ينبغي له أن يُظهِرَ الاستغاثة ليُقتدى به).

فهذا هو موقفهم من توحيد الألوهية!!

أما موقفهم مِن كلمة التَّوحيد (لا إله إلا الله):

فإن المشهور عندهم أنَّها ليست بأوّل واجب على العباد، وإنما أوّل الواجبات هو إثبات وجود الله تعالى بالنَّظرِ والقصد إليه!! فخالفوا بذلك دَعوة الرُّسل جميعًا ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ!!

قال **الباقلاني** ـ وهو مِن كِبارِ أئمة الأشاعرة ـ: (وأن يعلَمَ أن أوّل ما فرضَ الله على جميعِ العبادِ: النظر في آياته، والاعتبار بمقدوراته، والاستدلال عليه بآثارِ قدرته، وشواهد رُبوبيّته؛ لأنَّ الله غير معلوم بالاضطرار).

وأمّا موقفهم من الإيمانِ الذي هو أحد مَراتب الدِّينِ:

فالإيمان عندهم يكفي فيه التصديق القلبي المجرَّد، ولو لم يتكلّم بكلمة التَّوحيدِ، ولم يعمل بجوارحِهِ قطّ!

فوافقوا الجهمية في تعريفِ الإيمانِ أنّه: التصديق، فقط دون القول والعمل.

قال **الباقلاني**: (وأن يعلم أنَّ الإيمان بالله ﷻ هو التَّصديق بالقلبِ، بأنّه الواحد الفرد).

قال **ابن تيمية** رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (٧/ ١١٩): (والقاضي أبو بكر الباقلاني نصرَ قول جهم في مسألة الإيمان مُتابعةً لأبي الحسن الأشعري، وكذلك أكثر أصحابه).

قال **الشيخ عبد الرحمن بن حسن** رحمه الله ـ صاحب كتاب «فتح المجيد» ـ في «الدرر السنية» (٣/ ٢٠٨ ـ ٢١١):

(وهذه الطَّائفة التي تَنتسب إلى أبي الحسن الأشعري، وصَفوا رَبَّ العالمين بصفاتِ المعدوم والجماد، فلقد أعظموا الفِرية على الله، وخالفوا أهل الحقِّ مِن السَّلف والأئمة وأتباعهم..

إلى أن قال: فهذه الطائفة المنحرفة عن الحقّ، قد تجرَّدت شَياطينُهم لصدِّ النَّاس عن سبيل الله، فجحدوا توحيد الله في الألوهية، وأجازوا

الشِّرك الذي لا يغفره الله، فجوزوا: أن يُعبد غيره من دونه، وجحدوا توحيد صفاته بالتّعطيل. فالأئمة من أهل السُّنة وأتباعهم لهم المصنفات المعروفة في الرَّدِّ على هذه الطائفة الكافرة المعاندة).

وقد وصف ابن القيم في «نونيته» حقيقة مذهبهم، فقال (ص١٤٧):

وكذلك الإرجاء حين تُقِرُّ بالـ ... معبود تُصبحُ كاملَ الإيمان
فارم المصاحف في الحشوش وخرب الـ ... بيتَ العتيقَ وجِدَّ في العصيان
واقتل إذا ما اسطعت كل مُوحِّد ... وتمسَّحن بالقسِّ والصُّلبان
واشتم جميع المرسلين ومن أتوا ... من عنده جهرًا بلا كتمان
وإذا رأيت حجارة فاسجد لها ... بل خر للأصنام والأوثان
وأقرَّ أن اللَّهَ جلَّ جلاله ... هو وحده الباري لذي الأكوان
وأقرَّ أن رسوله حقًّا أتى ... من عنده بالوحي والقرآن
فتكون حقًّا مؤمنًا وجميع ذا ... وزر عليك وليس بالكفران
هذا هو الإرجاء عند غُلاتهم ... من كلِّ جهميٍّ أخي الشَّيطان

❖ **والأمثلة على وقوع مَن تأوّل صفات الله تعالى أو عطّلها عن حقيقتها اللائقة بالله ﷻ في المُخالفات العقديّة في توحيد العبادة كثيرة جدًّا، ومنها:**

١ ـ ابن الجوزي (٥٩٧هـ):

وموقفه مِن الصِّفات لا يخفى، فقد سلك فيها مسلك أهل التأويل والتعطيل، ومَن نظرَ في كُتبهِ وخاصّةً في كتابهِ «دفع شُبه التَّشبيه» تبيّن موافقته للمُعطِّلةِ، وَشِدَّة عَدائِهِ لمُثبتِةِ صفات الله تعالى.

وقد أنكرَ عليه أهل السُّنة في زَمانِهِ موافقته للمُعطِّلة، ونُوصِح بترك موافقتهم؛ كما في رسالة العَلثي له، وستأتي هذه النَّصيحة في (ص١٧١).

ومِن مُخالفاتِهِ في توحيدِ العِبادةِ:

ما ذَكرَهُ في كتابهِ [«صيد الخاطر» (ص٥٩)] قال: (.. ثُمّ جاء

التَّأويلُ فانبسطتُ فيما يُباحُ، فانعدمَ مَا كنتُ أجدُ مِن استنارةٍ وسَكينةٍ، وصارت المُخالطة تُوجب ظُلمة في القلبِ إلى أنْ عُدِمَ النُّور كُلّه؛ فكان حَنيني إلى مَا ضاعَ مِنِّي يُوجب انزعاجَ أهل المجلس، فيتوبون ويصلحون، وأخرج مُفلسًا فيما بينِي وبينَ حَالي. وكَثُرَ ضَجيجي مِن مَرضِي، وعجزتُ عن طِبِّ نَفسي، فلجأت إلى قبور الصّالحين، وتوسلت في صَلاحي، فاجتذبني لُطفُ مَولاي إلى الخَلوة على كَراهةٍ مِني).. إلخ.

وقد تَعقبه **الشَّيخ سُليمان بن حمدان** رَحِمَهُ اللهُ في «ملاحظاته» (ص٨٠) فقال: (أقول: هذه زلّةٌ عظيمة من ابن الجوزي؛ لأن صَلاحَ القَلب أمرٌ لا يَقدِر عليه إلَّا الله سُبحانه، فاللِّجاءُ فيهِ يجبُ أن يكون إليه؛ لأنّه عِبادة، وفي الدُّعاء المأثور: «**لا مَلجأ ولا مَنجا مِنكَ إلاَّ إليكَ**»، فاللِّجاءُ فيهِ إلى قُبورِ الصَّالحين شِركٌ في تلك العبادةِ، كما أن التوسُّل بالصَّالحينَ بعدَ وفاتِهم لا يكون إلَّا بذواتِهم، وهذه بدعةٌ مُحرَّمة؛ لأنّ التوسُّل إنّما يكون بأسماءِ الله الحُسنى وصفاته، وبالأعمال الصَّالحة، هذا هو المشروع؛ فتنبَّه لذلك).

٢ - الرَّازي (٦٠٦هـ):

وهو مِن كِبارِ أئمة الأشاعرة المتأخِّرين، وهو الذي أصَّلَ للمُتأخِّرين مِن أهل التأويل قواعدهم في تأويل الصِّفات، وقد وقع في الشِّركِ الأكبر وعبادةِ غير الله تعالى في كتابه: «السِّرّ المكتوم في مُخاطبة الشَّمس والقمر والنُّجوم»!! وإن كان قد تابَ مِن ذلك.

- قال **ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٤٧٢):

(فإن نُفاةَ كونِهِ على العرشِ لا يُعرف منهم إلَّا من هو مَأبونٌ في عقلهِ ودِينهِ عند الأمّة، وإن كان قد تابَ مِن ذلك؛ بل غالبهم، أو عامّتهم حصلَ منهم نوع رِدّةٍ عن الإسلام! وإن كان منهم مَن عاد إلى الإسلام، كما ارتدَّ عنه قديمًا شيخهم الأول الجهم بن صفوان وبقي أربعين يومًا شاكًّا في رَبّه لا يقرّ بوجودِهِ ولا يعبده! وهذه رِدَّة باتفاقِ المسلمين، وكذلك ارتدَّ هذا

الرَّازي حينَ أمرَ بالشَّركِ وعبادةِ الكواكبِ والأصنامِ، وصنّفَ في ذلك كِتابَهُ المشهور، وله غير ذلك؛ بل مَن هو أجلّ منهم مِن هؤلاء بقي مُدّة شاكًّا في رَبّهِ غيرَ مُقرّ بوجودِهِ حتّى آمن بذلك؛ وهذا كثير غالب فِيهم، ولا رَيبَ أن هذا أبعد العالمين عن العقل والدِّين).

[وانظر كذلك (٣/ ٥٣ ـ ٦٠) في نفس المصدر]

٣ ـ ابن الحَاج الأشعري (٧٣٧هـ):

وله في تأويل الصِّفات وتعطيلها الشّيء الكثير! أما وقوعه في شِركِ العِبادة فهو أعظم وأكثر:

فقد وقع في بدعِ القبور الشِّركية؛ كالاستغاثة بالأموات عند إلمام الملمَّات! والتَّوسل بذات النبي ﷺ! والتّبرك بالأولياء والقبور! والدّعوة إلى كثيرٍ من الخُرافات!! ومن ذلك:

قوله في كتابه «المدخل» (١/ ٢٤٩): (ثم يتوسل بأهل تلك المقابر؛ أعني بالصَّالحين منهم في قضاءِ حوائِجهِ، ومَغفرةِ ذُنوبِهِ)!!

وقوله (١/ ٢٤٨): (فمن أرادَ حَاجةً؛ فليذهب إليهم، ويتوسل بهم، فإنّهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه)!!

وقوله (١/ ٢٥٢): (فمن توسَّل، أو استغاث به، أو طلب حوائجه منه ﷺ؛ فلا يُرَدُّ ولا يَخيب)!!

قلت: ولا يخفى على كل صاحبِ توحيدٍ وسُنةٍ مَا في هذه الأقوال مِن دعوة صريحة إلى الشِّركِ الأكبر، والوثنية التي كان عليها أهل الجاهلية من عِبادة غير الله تعالى.

٤ ـ أبو الحسن السُّبكيّ (٧٥٦هـ):

وهو مِن غُلاة مُعطّلة الصِّفات، كما في رُدوده الكثيرة وتعدِّياته الآثمة على أهل السُّنة مُثبتة صِفات الله تعالى.

ومنها: ردّه على نُونية ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما فيها من إثباتِ صفات الله تعالى، كما في كتابه الذي نشره الكوثريّ الجهميّ باسم: «السَّيف الصقيل في الرَّدِّ على ابن زفيل».

أما وقوعه في مُخالفات توحيد العبادة:

فقد كان ممن يُقرّر في كُتبِهِ استحباب التَّبرك بالموتى والصَّالحين! والاستغاثة بهم! وألَّف في ذلك كتابه: «شِفاءُ السّقام في زيارةِ خَير الأنام»، وقد لَقِيَ هذا الكتاب قبولًا عند القبوريين!! ونقلوا عنه كثيرًا، وتشبَّثوا بما فيهِ مِن الشُّبهاتِ، والأحاديث المكذوبة والموضوعة.

قال **السُّبكي** فيه: (وإن المعلوم مِن الدِّين وسَيرِ السَّلف الصَّالحين؛ التَّبرك ببعض الموتى مِن الصَّالحين..)!!

وذَكرَ مِن أقسام زيارة القبورِ: (زيارتها للتَّبرُّك بأهلها إذا كانوا مِن أهلِ الصَّلاح والخيرِ..)!!

وقد رَدَّ على ضلالاتِهِ ومخالفاته في هذا الكتاب: **محمد بن عبد الهادي** (٧٥٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الصَّارم المنكي في الرَّدِّ على السُّبكي».

قال عنه **محمود شكري الألوسي** في «رده على النبهاني» (٢/ ٢٦): (فقد أجادَ فيهِ وأفادَ .. وبه ظهر زيف السُّبكي، ومَا بهرجَ به مِن الباطلِ، وتبيَّنَ أنَّه مِن أجهلِ النَّاسِ بعلم الحديثِ، مُماريًا مُعجبًا برأيهِ، مُتَّبعًا لهواه، ذَاهبًا في كثيرٍ مما يَعتقده إلى الأقوالِ الشَّاذةِ، والآراءِ السَّاقطة..) إلخ.

وقال أيضًا (١/ ١٣٠): ومَن نظرَ إلى هذا الكتاب تبيَّن له أن شُهرة السُّبكي بالعلمِ كانت شُهرة كاذِبة، وأن نَظره كنظرِ العوام، وأن مَنزلتَهُ مِن العلماءِ كقطرةٍ مِن بحرِ مَاء.. لا يعلم شيئًا من مَعقولٍ ولا مَنقول، وإن إطراءَ غُلاة الشَّافعيةِ فيه مِن مَحضِ تَعصّبهم، وقَسوة قلوبهم .. إلخ.

وقد ذكرَ **ابن السُّبكي** عن أبيهِ أنه كان يذهبُ إلى بعضِ القبورِ، ويُمرِّغُ وجهَهُ على تُربتِها!! فقال في «طبقات الشّافعية الكبرى» (٨/ ٣٩٦): (لما سكنَ

في قاعةِ دارِ الحديثِ الأشرفية في سنةِ اثنتين وأربعين وسبعمائة، كان يَخرجُ في الليلِ إلى إيوانها ليتهجد تجاه الأثر الشريف! ويُمرِّغُ وجهَهُ على البسَاطِ! وهذا البساط .. كان النووي يجلس عليهِ وقت الدَّرسِ، فأنشدني الوالد لنفسِهِ:

وفي دار الحديث لطيف مَعنى ... على بسط لها أصبو وآوي
عسى أنّي أمسّ بِحَرِّ وجهي ... مَكانًا مَسَّهُ قَدَم النَّواوي)

وقد كان السُّبكي أيضًا يرى مَشروعية التوسل بالأنبياء والصَّالحين!!

فقال: (اعلم أنّه يجوز ويَحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ إلى رَبِّه .. ولم يُنكر أحدٌ ذلكَ من أهل الأديانِ!! ولا سُمع به في زَمنٍ مِن الأزمانِ، حتَّى جاء ابن تيمية فتكلَّمَ في ذلكَ بكلام يُلبّسُ فيه على الضُّعفاء الأغمار، وابتدعَ مَا لم يُسبق إليهِ في سَائرِ الأمصارِ .. وحَسبُك أن إنكارَ ابن تيمية للاستغاثةِ والتَّوسلِ قولٌ لم يقله عالِم قبلَهُ، وصارَ بهِ بينَ أهلِ الإسلامِ مُثلة)!!

[انتهى نقلًا من كتاب: «آراء أبي الحسن السُّبكي الاعتقادية»]

قال محمود شكري الألوسي في «رده على النبهاني» (٢/ ٨٠): فليتَ شِعري! بأيّ فضيلةٍ استحق السُّبكيّ أن يُعبَّرَ عنه بشيخِ الإسلام؟! هل بإغرائه العوام على عبادةِ غير الله، والمغالاة في الدِّينِ، أو بنيابتهِ في الشَّامِ بعد أن تقلدهَا بالرّشوة.. أو بشتمه خيارَ عِبادِ الله، أو بجهلِهِ بما وردَ في الكتابِ والسُّنة؟! وهو في ذلك لا يستحقّ هذا التَّعبير، فلا أرى به إلَّا أن يُلقَّبَ بـ(شيخِ الغُلاة). اهـ.

٥ - محمد بن بهادر الزَّركَشِي (٧٩٤هـ):

وهو أشعريّ المعتقد له كِتاب: «الأزهية في أحكام الأدعية» عَطَّل فيه صفة العلوّ، والنُّزول وغيرها مِن الصِّفات، وسَمّى أهل السُّنة فيه: (مُشبّهة) كعادة الجهمية في نبزِ أهل السُّنةِ بذلك.

أما موقفه من توحيد العبادةِ؛ فقد ذكر في كتابهِ هذا الخلاف في جوازِ الاستغاثة بالمخلوقِ، ثم قال: (والظاهرُ الجواز، وقد صنَّفَ الشيخ

أبو عبد الله ابن النُّعمان كتابًا سمَّاهُ: «مِصباح الظلامِ في المستغيثين بخيرِ الأنام»، وتلقَّاهُ النّاس بالقبول، وعدم النكير)!!

ثم خلّط وخبَّطَ في ذكرِ الشُّبه على جواز الاستغاثة بغيرِ الله تعالى.

٦ ـ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ):

وقد سارَ في شرحِهِ لصحيح البخاري المسمّى بـ «فتح الباري» بين التأويلِ والتّفويضِ كما سيأتي، أما عن مُخالفاته في توحيدِ العبادة:

١ ـ قوله (١/ ٥٢٢): وفيه التبرك بالمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ، أو وطئها، ويُستفاد من أن من دُعي مِن الصَّالحين ليُتبرك له أنَّه يجيب. اهـ.

وقوله (١/ ٥٦٩): فهو حُجة في التّبرك بآثارِ الصَّالحين. اهـ.

٢ ـ ومن شِعرِهِ في التّوسُّلِ وطلبِ الشَّفاعة من النبي ﷺ، قوله:

فاشفع لمادِحك الذي بك يتَّقي ... مِن هَولِ يومِ الدِّينِ والتَّعذيبِ!!

وقوله:

بباب جُودِكَ عَبدٌ مُذنب كَلِف ... يا أحسن النَّاس وجهًا مُشرقًا وقفا

بكم تَوسَّلَ يرجو العفو عَن زَللٍ ... مِن خوفهِ جفنُه الهامي لقد ذَرَفا

وقوله:

نَبي الله يا خير البرايا ... بِجَاهِكَ أتَّقي فصل القَضاءِ

إلى قوله:

فقل: يا أحمد بن عليّ اذهب ... إلى دارِ النَّعيمِ بِلا شَقَاء

وقوله في مدح النبي ﷺ:

هذي ضَراعة مُذنب مُتمسّك ... بلوائكم من يوم كانَ وليدا

يرجو بكَ المحيا السَّعيدَ وبَعثَهُ ... بعدَ المماتِ إلى النَّعيمِ شَهيدا

[«ديوان ابن حجر» (ص: ١٠٧ و ١١٣و ١١٥ و١١٧و١٢٤)]

٧ ـ السُّيوطي (٩١١هـ):

وهو مِن كِبارِ الأشاعرةِ مُؤوّلة الصِّفات، كما يظهر ذلك جليًّا في تعليقاته في جميع كُتبِهِ، وخاصّةً كِتابه: «تأويل الأحاديث الموهمة للتَّشبيهِ».

وموقفه من توحيد الألوهية يظهر جليًّا مِن مُؤلفاته الكثيرة التي دعَا فيها إلى مَا يُناقض توحيدِ الألوهية؛ ومِن تلكَ الكُتب:

١ ـ «تأييد الحقيقة العلية، وتشييد الطَّريقة الشَّاذلية»!! ومما قاله في هذا الكتاب: (الشَّيخ أبو الحسن الشَّاذلي، إمام أرباب القلوب في زَمانِهِ، الذي كان يسأل معتمدًا على الإلهام الواقع في قلبهِ، ذاك إلهامه صواب لا يُخطئ، وبعد موتات ماتَها في الله).

٢ ـ وكتاب: «تنبيه الغبي في تنزيه ابن عربي»!! قال فيه: (والقول الفصل عندي في ابن عربي ...: اعتقاد ولايته)!!

وقارن بين هذا وبين قول ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢/ ٢٤١): (وجماع أمر صاحبِ «الفصوص» [يعني: ابن عربي] وذويه: هدم أصول الإيمان الثلاثة، فإن أصول الإيمان: الإيمان بالله، والإيمان برسله، والإيمان باليوم الآخر.. وقال: ما تضمنه كتاب «فصوص الحكم» وما شاكلَه مِن الكلام: كُفر باطنًا وظاهرًا، وباطنه أقبح من ظاهره .. ثم بعض كُفرهم الذي لا يشك فيه أحد.. ثم قال: ولا يتصور أن يُثني على هؤلاءِ إلّا: كافر مُلحِد، أو جاهل ضَالّ).

٣ ـ «قمع المعارض في نصرة ابن فارض»!!

وابن فارض صاحب عقيدة الاتحاد ووحدة الوجود، قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٧٣): (له قصيدة في نظم عقيدة الاتحاد سَمّاها: «نظم السُّلوك»، وقد نَظَمَ فيها الاتحاد نظمًا رَائق اللفظ، فهو أخبث مِن لحمِ الخنزير في صينيةٍ مِن ذهبٍ، ومَا أحسن تَسميتها بـ: «نظم الشُّكوك»).

٤ ـ «الخبر الدّال على وجوب القُطبِ والأوتاد والنُّجباء والأبدال».

٥ ـ «القول الجلي في تطوّر الولي»!! يرى فيهِ أن الولي يتشكّل، وتتعدد صوره للرَّائين!!

٦ ـ «حسن المقصد في عمل المولد»، ذهب فيه إلى استحسان إقامة الموالد الشِّركية.

وغيرها من كُتبهِ الكثيرة التي دعا في كثيرٍ منها إلى أنواعٍ شتَّى مِن بدع التَّجهُّم، والتَّفويضِ، والتَّصوف، وغيرها، ولقد صدق فيهِ قول **محمد بدر الدِّين الحلبيّ** وهو يتكلَّم على تَصانيفِهِ الكثيرة، فقال: (وطريقته ـ على مَا عِلمنا مِن استقراءِ كُتبِهِ ـ أنّه كلما وقعَ إليه كتابٌ مِن الكُتبِ في أيِّ فَنٍّ مِن الفنون، واستحسنَهُ؛ اختصرَهُ، ونسبَهُ إلى نفسِهِ بدونِ تمييزٍ بين غثٍّ وسَمين، ولا وقوف على حقائقِ العلوم، ولذلك تراهُ مُضطربًا في كُتبِهِ؛ لأنه لا يُحكّم فِكرَ نفسِهِ، وإنما يُحكِّم في كُلِّ كتابٍ فِكرَ مُؤلِّفهِ هو، فيضيفه إلى نفسِهِ ببعضِ التصرُّفِ يُحدثه في الكتابِ..) إلخ.

[نقلًا من كتابِ «الرد على النبهاني» (٨٢/١)]

٨ ـ القَسطلّاني (٩٢٣هـ):

له كتاب «إرشاد السَّاريّ شَرح صحيح البخاري».

وقد كان مِن كِبارِ الأشاعرة مُعطّلة الصِّفات.

ومن أمثلة مُخالفاتِهِ فيمَا يُناقض توحيد الألوهية:

قوله في كتابه «المواهب اللّدنّية في المنح المحمديَّة» قال في مدحه للنبي ﷺ: (فهو خَزانةِ السِّرِّ، وموضع نفوذُ الأمر، فلا ينفذ أمر إلَّا مِنهُ، ولا ينقل خَير إلَّا عنه).

وله كثير من الأقوال الشِّركية التي يطول تتبعها، ولقد صدقَ فيه قول **محمود شكري الألوسيّ** إذ يقول فيه كما في «غاية الأماني»: (كان القَسطلاني مِن غُلاة القبورية، يُثبت الواسطة الشِّركية، قياسًا لله ﷻ على مَلوك الدُّنيا).

وقد تابع القسطلاني في بدعتهِ هذه الزَّرقاني صِاحب «شرح الموطأ» في كتابه «شرح المواهب»!!

[انظر: كتاب «نقض عقائد الأشاعرة» (ص٢٠٣)]

٩ ـ ابن حَجر الهيتمي (٩٧٤هـ):

وهو مِن الأشاعرة المعطِّلة المعَادِين لأهل السُّنة والتوحيد، وكثيرًا مَا يَحكي الخلاف في تكفيرِ مِن أثبت علو الله تعالى على خلقهِ، وغيرها من صفات الله تعالى! كما سيأتي ذلك عنه.

أمَّا مُخالفاته في توحيدِ العبادة؛ فهي كثيرة جدًّا، ومِن أعظمها: غُلوّه في قُبور الصَّالحين، والدَّعوة إلى ذلكَ.

قال ابن سحمان رحمه الله في «الصواعق المرسلة» (ص٢٧٧): (وابن حجر المكي ـ عامله الله بعدله ـ مِن الغَالين في الصَّالحين، ومِن الثَّالبين لأئمة المسلمين، الذين جَرَّدوا توحيد العبادة لله رَبِّ العالمين، وجاهدوا في الله ولله مَن خَرج عن سَبيل المؤمنين ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النِّساء: ١١٥]، ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النُّور: ٤٠] ومَن كانت هذه حَاله، وهذه أقواله؛ فحقيقٌ أن لا يُلتفت إليه).

وقال أيضًا في «الأسنة الحداد» (ص٢٠٩): (وأما ما ذكرَهُ عن الشَّيخ زكريا، وابن حَجر، والرَّملي، فهؤلاء ليسوا ممن يُعتدّ بهم وبكلامهم وخلافهم؛ بل ظهر أنهم من الغُلاة المعظِّمين للقُبورِ، فلا معوّل على كلامهم).

قلت: زكريا هو الأنصاري (٩٢٦هـ) صاحب كتاب «فتح الباقي شرح ألفيه العِراقي»، وله شرح على صحيح البخاري، وغيرها من الكُتب.

والرّملي هو أحمد بن محمد الشَّافعي تلميذ الأنصاري (٩٧١هـ).

وقال محمود شكري الألوسي في «رده على النبهاني» (١/ ٣٥٨): (وما

كان عليه ابن حجر المكيّ مِن الغُلو في القبور، والقول بأقوال المتصوّفة الكاذِبة، وترويج بدعهم المعلومة أثر لا يَسعه الإنكار، وكُتبه طَافِحة بمثل هذه الأكاذيب .. وقال: ومِنه يُعلم أن ابن حجر المكيّ ليس منهم في شَيءٍ [يعني: أولياءَ الله]، فإنّه ممن يجوّز الالتجاء إلى غير الله تعالى، والاستغاثة بالأنبياء والصَّالحين، والاستعانة بهم والتوسل، وغير ذلك...) إلخ.

وقال: (فتراهُ في كثيرٍ مِن كُتبه يُروّج البدع، ويدافع عنها، ويذبّ عن أهلها، ويُخاصم أتباع السُّنن، ويعادي أهل الحديثِ أشدّ العداوة، ويَنسب إليهم كل ما خطرَ على بالِهِ، وجرَى على لسانِ قلمِهِ مِن الإفكِ والزُّورِ والبُهتانِ. انظر إلى ما ذكرَهُ في «فتاويه الحديثية» بل البدعية، تجدها مَشحونة من العدوان على ابن تيمية..).

١٠ ـ يوسف النّبهاني الحنفي الأشعري (١٣٥٠هـ):

قال في كتابه «شواهد الحق»: (إن المسلمين مِن أهلِ السُّنةِ [يعني: الأشاعرة] وهم جمهور الأُمّة المحمديّة(!!) يعتقدون فيه ﷺ أنه يعلم الغيبَ، ويُعطي ويَمنع، ويقضي حَوائج السَّائلين، ويُفرّج كُربات المكروبين، وأنّه يشفع فيمن يشاءَ، ويدخل الجنَّة مَن يشاء)!!

قلت: ماذا بقي لله تعالى بعد ذلك ؟!

قال محمود شكري الألوسي في «رده على النبهاني» (٢/ ٤): (استولت على قلبهِ مَحبّة الإشراك بالله تعالى، والغلوّ في الصَّالحين).

وقال أيضًا (١/ ١٠٩): (وله عِدّة قصائد في الاستغاثة والالتجاء إلى غير الله، وهي مطبوعة مشهورة).

١١ ـ البيجوري الأشعري:

وعقيدته في الأسماءِ والصِّفات قائمة على التأويل والتفويض، كما سيأتي.

قال في «جوهرة التوحيد» وهو يشرح قول اللّقّاني:

وأثبتن للأولياء الكرامة ... ومَن نفاهَا انبذن كلامَه

قال: ولذا قيلَ: مَن لم تظهر كرامته بعد مَوتهِ كما كانت في حياتِهِ فليسَ بصادقٍ.

وقال الشَّعرانيّ: ذكرَ لي بعض المشايخ أنَّ الله تعالى يوكل بقبرِ الولي مَلكٌ يَقضي الحوائج، وتارةً يَخرجُ الولي مِن قَبرهِ فيقضيها بنفسِهِ!! اهـ.

قلت: فهذه بعض الأمثلة على ما قرَّره أهل السُّنة مِن أن المعطّل والمؤوِّل لِصفاتِ الله تعالى يَقع غالبًا في مُخالفات في توحيد الألوهية والعبادة.

وما ذكرته مِن بعض هذه الأمثلة أكبر دليلٍ على ذلك، وإن كانت مُخالفاتهم تختلف بين الشِّركِ الأكبرِ والأصغر.

❖ أقوال أهل السُّنة في أنه لا يتم أحد التَّوحيدين إلا بالآخر:

١ ـ قال عبد الله بن المبارك (١٨١هـ) رَحِمَهُ اللهُ: (كل قومٍ يعرِفون ما يعبدون إلَّا الجهمية).

[«خلق أفعال العباد» للبخاري (٧٣)]

وقال رَحِمَهُ اللهُ:

ولا أقولُ بقولِ الجهمِ إنَّ له ... قولًا يُضارع قول الشِّركِ أحيانًا

[«خلق أفعال العباد» للبخاري (١٢)]

قال ابن تيمية في «منهاج السُّنة» (٢/ ١٤٣): (وكذلك سائر الجهمية والمعتزلة نُفاة الصفات؛ لمَّا أثبتوا واحدًا لا يتصف بشيءٍ من الصِّفات، كانوا عند أئمة العلم الذين يعرفون حقيقة قولهم إنما توحيدهم تَعطيل مستلزم لنفي الخالق، وإن كانوا قد أثبتوه فهم مُتناقضون جمعوا بين ما يستلزم نفيه ومَا يستلزمُ إثباته.

ولهذا وصفهم أئمّة الإسلامِ بالتّعطيل، وأنّهم دلّاسون، ولا يُثبتون شيئًا، ولا يَعبدون شيئًا، ونحو ذلك كما هو موجود في كلامِ غيرِ واحدٍ مِن أئمّةِ الإسلامِ؛ مثل: عبد العزيز بن الماجشون، وعبد الله بن المبارك، وحماد بن زيد .. وأحمد بن حنبل).

٢ ـ قال **وكيع** (١٩٧هـ) رَحِمَهُ اللهُ: (القرآن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ أنزله جبريل على محمدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كُلّ صاحبِ هوىً يعرف الله عَزَّ وَجَلَّ، ويَعرف مَن يَعبد؛ إلّا الجهمية لا يَدرون مَن يعبدون: بِشْر المَريسي وأصحابه).

[«السُّنة» لعبد الله بن أحمد (٣٧)]

٣ ـ قال **محمد بن إسماعيل الترمذي**: (سمعت المزني (٢٦٤هـ) يقول: لا يصحّ لأحدٍ توحيد حتَّى يعلم أنَّ اللهَ على العَرشِ بصفاتِهِ.

قلتُ: مِثل أيّ شيءٍ؟

قال: سميعٌ، بصيرٌ، عليمٌ، قَديرٌ).

[أخرجه ابن منده في «تاريخه»، كما في «العلو» للذهبي (٤٦١)]

٤ ـ قال **عبد الله ابن الإمام أحمد** في «السُّنة»: (باب من زعمَ أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يتكلَّم فهو يعبدُ الأصنام) ثم ذكرَ تحته ما يَدلّ عليه، فانظره.

٥ ـ قال **الدّارمي** (٢٨٠هـ) رَحِمَهُ اللهُ في [«النقض» (ص٣٢٠)]:

(والعجب من المَريسي صاحب هذا المذهب أنه يَدّعي توحيد الله بمثل هذا المذهب وما أشبهه، وقد عطّل جميع صفات الواحد الأحد، فادّعى في قياس مذهبه أن واجده الذي يوحّده: إلٰه مُجدّع، منقوص، مشوَّه، مشيج، مقصوص، لا تتم وحدانيته إلَّا بمخلوق، ولا يستغني عن مخلوق من الكلام، والعلم، والاسم.

ويلك! إنَّما الموحِّد الصَّادق في توحيده الذي يوحِّد الله بكماله، وبجميع صفاته في علمه، وكلامه .. وهبوطه، وارتفاعه، الغني عن جميع

خلقه بجميع صفاته من: النَّفس، والوجه، والسَّمع، والبصر، واليدين، والعلم .. الفعَّال لما يشاء، هذا إلى التوحيدِ أقرب مِن هذا الذي يوحّد إلْهًا مُجدّعًا، مُنقوصًا، مقصوصًا، لو كان عبدًا على هذه الصِّفة لم يكن يساوي تمرتين، فكيف يكون مثله إلْهًا للعالمين؟! تعالى الله عن هذه الصفة). وانظر: «رده على الجهمية» (٢٣٠).

٦ ـ قال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ في [«الإبانة الكبرى» (٤/ ٦١)]:

(وإنَّما أبطل الجهميّ صفاته يريد بذلك إبطالَهُ؛ وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقدَ العبدُ آنيّتَهُ، ليكون بذلك مُباينًا لمذهب أهل التَّعطيل الذين لا يثبتون صَانعًا.

الثاني: أن يعتقدَ وحدانيتَهُ، ليكون مُباينًا مذهب أهل الشِّرك الذينَ أقرُّوا بالصَّانع، وأشركُوا معَهُ في العبادةِ غيرَهُ.

الثالثُ: أن يعتقدهُ مَوصوفًا بالصِّفات التي لا يجوز إلَّا أن يكون موصوفًا بها من العلمِ والقدرة والحكمة وسَائر ما وصف به نفسه في كتابه، إذ قد علمنا أن كثيرًا ممَّن يقرُّ به ويوحِّدُهُ بالقولِ المطلق قد يلحدُ في صفاته، فيكون إلحادُهُ في صفاته قادحًا في توحيده.

ولأنا نجد الله تعالى قد خاطبَ عِبادَهُ بدعائهم إلى اعتقاد كُلِّ واحدة في هذه الثلاث والإيمان بها، فأمَّا دعاؤه إياهم إلى الإقرار بآنيَّته ووحدانيته، فلسنا نذكر هذا هاهنا لطوله وسعة الكلام فيه؛ ولأن الجهميّ يدعي لنفسه الإقرار بهما، وإن كان جَحده للصِّفات قد أبطل دَعواه بهما).

وقال أيضًا (٤/ ٨٦): (مَن رَزقه الله فهمًا وعقلًا، ووهب له بصرًا نافذًا، وذهنًا ثاقبًا، علِمَ بحسنِ قريحتِهِ، ودقَّةِ فطنته؛ أن الجهمية تريد إبطال

الرُّبوبية، ودفع الألوهيةِ، واستغنى بما يدلُّهُ عليه عقلُهُ، وتنبِّهُهُ عليه فطنتُهُ عن تقليد الأئمة القُدماءِ والعُلماء العُقلاء، الذين قالوا: إن الجهمية زنادقة، وأنهم يدورون على أن ليس في السَّماء شيء، فإن القائلين لذلك ـ بحمد الله ـ أهل صدقٍ وأمانة، وورع ودِيانة، فإن مَن أمعن النَّظر وجد الأمر كما قالوا..) إلخ.

٧ ـ قال **ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ في «درء التعارض» (١/ ٢٢٤) وهو يتكلم عن مُعطلة الصفات: (فهم يريدون بلفظ (التوحيد، والواحد) في اصطلاحهم: ما لا صفة له، ولا يُعلم منه شيء دون شيء، ولا يُرى! والتوحيد الذي جاء به الرسول ﷺ لم يتضمن شيئًا من هذا النفي، وإنّما تضمن إثبات الإلٰهية لله وحده؛ بأن يشهد أن لا إلٰه إلَّا هو، ولا يعبد إلَّا إيّاه، ولا يتوكل إلَّا عليه، ولا يُوالي إلَّا له، ولا يُعادي إلَّا فيه، ولا يعمل إلّا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات .. وليس المراد بالتوحيد مُجرد توحيد الرُّبوبية، وهو اعتقاد أن اللهَ وحده خلقَ العالم، كما يظنّ ذلك مَن يَظنّه مِن أهلِ الكلامِ والتّصوف، ويظنّ هؤلاء أنّهم إذا أثبتوا ذلك بالدَّليلِ فقد أثبتوا غاية التَّوحيدِ، ويظنّ هؤلاء أنّهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيهِ فقد فنوا في غاية التوحيد!

وكثير مِن أهل الكلام يقول: التوحيد له ثلاث مَعانٍ، وهو: واحد في ذاته لا قَسِيمَ له، أو لا جُزء له، وواحد في صِفاتِهِ لا شَبيهَ لَه، وواحد في أفعالِهِ لا شَريكَ له، وهذا المعنى الذي تتناوله هذه العِبارة فيها ما يوافق ما جاء به الرسول ﷺ، وفيها ما يُخالف ما جاءَ به الرسول ﷺ، وليس الحقّ الذي فيها هو الغاية التي جاء بها الرسول ﷺ؛ بل التوحيد الذي أمرَ به أمرٌ يتضمن الحقّ الذي في هذا الكلام، وزيادة أخرى، فهذا من الكلامِ الذي لُبِّس فيه الحقّ بالباطلِ، وكتَم الحقّ.

وذلك أن الرجل لو أقرَّ بما يستحقه الرّب تعالى مِن الصِّفات، ونزَّهه عن كُلّ مَا يُنزّه عنه، وأقرّ بأنَّه وحدَهُ خالقُ كُلِّ شيءٍ؛ لم يكن مُوحِّدًا، بل

ولا مُؤمنًا حتَّى يشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، فيقرّ بأنَّ الله وحدَهُ هو الإلٰه المستحقّ للعبادةِ، ويلتزم بعبادةِ الله وحده لا شريكَ له.

والإلٰه هو بمعنى المألوه المعبود الذي يستحقّ العبادة، ليس هو الإلٰه بمعنى: (القادر على الخلق)، فإذا فسَّرَ المفسِّر الإلٰه بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أنّ هذا أخصّ وصف الإلٰه، وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك من يفعله من مُتكلّمة الصِّفاتية، وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن وأتباعه؛ لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله، فإن مُشركي العرب كانوا مُقرِّينَ بأن الله وحده خالق كُل شيءٍ، وكانوا مع هذا مُشركين..

ولهذا كان من أتباع هؤلاءِ من يسجد للشَّمسِ والقمرِ والكواكب، ويدعوها كما يدعو الله تعالى، ويصوم لها، وينسك لها، ويتقرّب إليها، ثم يقول: إنّ هذا ليس بشركٍ، وإنّما الشِّرك إذا اعتقدت أنها هي المدبّرة لي، فإذا جعلتها سببًا وواسطة لم أكن مُشركًا!

ومن المعلوم بالاضطرار مِن دينِ الإسلام أن هذا شِركٌ.

فهذا ونحوه من التوحيد الذي بعث الله به رسله، وهم لا يُدخِلونَه في مُسمّى التوحيد الذي اصطلحوا عليه، وأدخلوا في ذلك نفي صفاته).

وقال في «درء التعارض» (١٠/ ٣٠٧): (ونُفاة الصِّفات وإن كانوا لا يعتقدون أن ذلك مُتضمن لنفي الذَّات؛ لكنَّهُ لازمٌ لهم لا مَحالة؛ لكنّهم مُتناقِضون؛ ولهذا لا يُوجد فِيهم إلَّا مَن فيهِ نَوع من الشِّرك، ولا بدّ من ذلك لنقص توحيدهم الذي به يتخلصون من الشِّرك).

❧ وقال أيضًا في «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٦٧): (التَّعطيل شَرٌّ من الشِّركِ، وكُلّ مُعطّلٍ فلا بدّ أن يكونَ مُشركًا).

❧ وقال رَحِمَهُ اللهُ في «الصفدية» (٢/ ٢٢٨): (والتّوحيد الذي جاءت به الرُّسل، ونزلت به الكتب هو: توحيد الإلهية، وهو أن يُعبد الله وحده لا شريكَ لَهُ، وهو مُتضمّن لشيئين:

١ ـ أحدهما: القول العلمي، وهو إثبات صفات الكمال له، وتنزيهه عن النَّقائص، وتنزيهه عن أن يماثله أحدٌ في شيء من صفاته، فلا يوصف بنقص بحال، ولا يماثله أحد في شيءٍ من الكمال، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فالصّمدية تثبت له الكمال، والأحدية تنفي مماثلة شيء له في ذلك.

٢ ـ والتوحيد العملي الإرادي: أن لا يُعبد إلَّا إياهُ، فلا يدعو إلَّا إياه، ولا يتوكل إلَّا عليه، ولا يخاف إلَّا إياهُ، ولا يرجو إلَّا إياهُ، ويكون الدين كُلّه لله، قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافِرون: ١،٢] وهذا التّوحيد يتضمن أن الله خالق كُلّ شيء، وربه، ومليكه لا شريك له في الملك.

فجاءت الجهمية ومن شاركهم في النَّفي، فأدخلوا في التّوحيد نفي الصّفات، وهو في الحقيقة تعطيل مُخالف لصريح المعقول، وصحيح المنقول، وأخذ ذلك هؤلاء الملاحدة فزادوا في النَّفي.

وكانت الجهمية تقول: الواحد هو: (الذي لا ينقسم)، وهذا لفظ مُجمل، فإن الله تعالى مُنزّه عن قبول التَّفريق والتَّبعيض؛ ولكن مَقصودهم بذلك نفي الصِّفات..).

وقال أيضًا في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٧٨٤): (مُتكلمة الجهمية لا يعبدون شيئًا، وهذا هو نهاية التّعطيل، ومُتصوفتهم يعبدون كُلّ شيء، وهذا نهاية الإشراك).

وقال (٣/ ١٠٠): (وهم [يعني: الجهمية] يُفسِّرون الواحد والتوحيد بما ليس هو معنى (الواحد) و (التوحيد) في كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، وليسَ هو التوحيد الذي أنزل الله به كُتبه، وأرسل به رُسله، وهذا أصل عظيم تجب معرفته.

فقال نفاة الصِّفات من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة ونحوهم: (الواحد): هو الذي لا صفة له، ولا قدر..).

وقال أيضًا (٤/ ٦٠٥): (إن الله بعث الرسل تَدعوا الخلق إلى عبادته الجامعة لمعرفته بأسمائه وصفاته وآياته، ولمحبته والإنابة إليه، وإخلاص الدِّين له حتَّى يكون الدِّين كُلّه لله. والجهمية تصُدّ القلوب عن معرفته ومحبته وعبادته؛ بحسب تجهمهم، إذ هم بين المستقل والمستكثر، ولا تجد أحدًا فيه شُعبة من التجهم إلّا وفيه من نقصِ التوحيد والإيمان بحسب ذلك).

٨ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «اجتماع الجيوش» (١/ ٩٣):

(ومَلاك السَّعادة والنَّجاة والفوز بتحقيق التَّوحيدين اللذين عليهما مدار كتاب الله تعالى، وبتحقيقهما بعث الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رسوله ﷺ، وإليهما دعت الرُّسل صلوات الله وسلامه عليهم كلهم من أولهم إلى آخرهم:

❁ **أحدهما**: التَّوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، المتضمِّن إثبات صفات الكمال لله، وتنزيهه فيها عن التّشبيه والتّمثيل، وتنزيهه عن صفات النَّقص.

❁ **والتوحيد الثَّاني**: عبادته وحده لا شريك له، وتجريد محبته، والإخلاص له، وخوفه ورجاؤه والتَّوكل عليه، والرِّضا به رَبًّا، وإلـهًا، ووليًّا، وأن لا يجعل له عدلاً في شيء من الأشياء.

وقد جمعَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هذين النَّوعين من التَّوحيد في سورتي الإخلاص وهما:

سُورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] المتضمنة للتوحيد العملي الإرادي، وسُورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] المتضمنة للتّوحيد العلمي الخبري...

ولا يتمّ أحد التَّوحيدين إلَّا بالآخر...

فالتَّوحيد العلمي الخبري له ضدان: التَّعطيل، والتَّشبيه والتَّمثيل، فمن نفى صفات الرَّبّ عَزَّ وَجَلَّ وعطّلها: كَذَّب تعطيله توحيده، ومن شبّهه بخلقِهِ ومثله بهم: كَذَّبَ تشبيهه وتمثيله توحيده ....

وقال في «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٣٥٣):

(كان مَرض التَّعطيل ومرض الشِّرك أخوين مُتصاحبين لا ينفكّ أحدهما عن صاحبه؛ فإن المعطل قد جَعلَ آراء الرِّجال وعُقولهم نِدًّا لكتاب الله. والمشرك قد جعلَ مَا يعبده من الأوثان ندًّا له ..) إلخ.

قلت: ثم بَيَّنَ رَحِمَهُ اللهُ التَّلازم بين التَّعطيل والشِّرك في كلامٍ طويل، انظره في كتابه «اجتماع الجيوش». [وانظر كذلك: «الصواعق المرسلة» (٤/١٤٩٠)]

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ في «الصواعق المرسلة» (٣/ ٩٣١):

(توحيدُ الجهمية؛ وهو مُشتقّ من توحيدِ الفَلاسفة، وهو نَفي صِفات الرّبّ ـ كعلمِهِ، وكلامِهِ، وسمعِهِ، وبصرِهِ، وحياتِهِ، وعلوِّهِ على عرشِهِ، ونفي وجهه، ويديه ـ وقُطب رَحى هذا التّوحيد: جحد حقائق أسمائه وصفاته .. وسَمُّوا التّوحيد الذي بعث الله به رُسله وأنبياءه: (تركيبًا، وتجسيمًا، وتشبيهًا)! وجعلوا هذه الألقاب له سِهامًا وسِلاحًا يُقاتِلون بها أهله، فتترَّسوا بما عند أهل الحقِّ من الأسماء الصَّحيحة، وقاتلوهم بالأسماءِ البَاطِلةِ التي سَمّوا بها مَا بعثَ الله به رسوله، فقاتلوهم باسم: (التَّركيب، والتَّجسيم، والتَّشبيه)، وتترَّسوا منهم باسم التَّوحيد والتَّنزيه).

[وانظر كذلك نحوه في: «بيان تلبيس الجهمية» (٣/٩٤)]

وقال في نونيته (ص٣٥٠): فصل في تلازم التعطيل والشرك:

واعلم بأن الشرك والتعطيل مذ	كانا هما لا شك مصطحبان
أبدًا فكُلُّ مُعطِّلٍ هو مُشرك	حتما وهذا واضح التبيان
فالعبد مضطر إلى من يكشف البلـ	ـوى ويغني فاقة الإنسان
وإليه يصمد في الحوائج كلها	وإليه يفزع طالبًا لأمان
فإذا انتفت أوصافه وفعاله	وعلوه من فوق كل مكان
فزع العباد إلى سواه وكان ذا	من جانب التعطيل والنكران

فمعطل الأوصاف ذاك معطل التـ ـوحيد حقًّا ذان تعطيلان
قد عُطِّلا بلسان كل الرسل من نوح إلى المبعوث بالقرآن
والناس في هذا ثلاث طوائف ما رابع أبدًا بذي إمكان
إحدى الطوائف مشرك بإلهه فإذا دعاه دعا إلهًا ثان
هذا وثاني هذه الأقسام ذا لك جاحد يدعو سوى الرحمن
هو جاحد للرب يدعو غيره شركًا وتعطيلا له قدمان
هذا وثالث هذه الأقسام خير الـ ـخلق ذاك خلاصة الإنسان
يدعو الإله الحق لا يدعو سوا ه قط في الأشياء والأكوان
يدعوه في الرغبات والرهبات والـ ـحالات من سر ومن إعلان

٩ ـ قال **الشَّيخ محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ اللهُ في «الدُّرر السَّنية» (١/ ١١٢) وهو يتكلّم عن معنى المعبود عند المتكلّمين، قال:

(والمتكلّمون ممن يدّعي الإسلام؛ لكن أضلّهم الله عن معرفة الإلٰه، فذُكِرَ عن الأشعري ومن تَبِعَهُ: أنّه القادرُ، وأن الألوهية هي القُدرة!

فإذا أقررنا بذلك، فهي معنى قوله: (لا إلٰه إلا الله)، ثُمّ استحوذ عليهم الشَّيطان؛ فظنّوا أن التَّوحيد لا يتأتى إلَّا بنفي الصِّفات، فنفوها، وسموا من أثبتها: (مُجسِّمًا)!!

وردّ عليهم أهل السُّنّة بأدلة كثيرة، منها:

أن التَّوحيد لا يتمّ إلَّا بإثباتِ الصِّفات، وأن معنى الإله: هو المعبود؛ فإذا كان هو سُبحانه متفرّدًا به عن جميع المخلوقات، وكان هذا وصفًا صحيحًا، لم يكذب الواصف به، فهذا يدلّ على الصّفات، فيدلّ على العلم العظيم، والقُدرة العظيمة؛ وهاتان الصِّفتان أصل جميع الصّفات، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطّلَاق: ١٢].

فإذا كان الله قد أنكر عبادة مَن لا يملك لعباده نفعًا ولا ضرًّا،

فمعلوم: أن هذا يستلزم العلم بحاجة العباد ناطقها، وبهيمها؛ ويستلزم: القُدرة على قضاء حَوائجهم؛ ويستلزم الرّحمة الكاملة، واللطف الكامل، وغير ذلك من الصِّفات؛ فمن أنكر الصّفات، فهو مُعطّل، والمعطل: شرٌّ من المشرك؛ ولهذا كان السَّلف، يسمون التّصانيف في إثبات الصِّفات: (كُتب التوحيد)، وختم البخاري صحيحه بذلك، قال: (كتاب التوحيد)؛ ثُمّ ذكر الصِّفات بابًا بابًا.

فنكتة المسألة: أن المتكلّمين يقولون: التَّوحيد لا يتمّ إلّا بإنكار الصّفات!

فقال أهل السُّنَّة: لا يتمّ التوحيد إلّا بإثبات الصِّفات، وتوحيدكم هو: التَّعطيل؛ ولهذا آل هذا القول لبعضهم إلى إنكار الرَّب تبارك وتعالى، كما هو مذهب ابن عربي، وابن الفارض، وفئام من النَّاس، لا يحصيهم إلّا الله..

فبيّنَ السّلف: أن العبادة إذا كانت كُلّها لله عن جميع المخلوقات، فلا تكون إلّا بـإثبات الصّفات والأفعال.

فتبيّن: **أن مُنكر الصّفات، مُنكر لحقيقة الألوهية، لكن لا يدري.**

وتبيّن لك: أن من شهد أن لا إلٰه إلّا الله صدقًا من قلبه، لا بُدّ أن يثبت الصّفات، والأفعال؛ ولكن العجب العُجاب: ظنّ إمامهم الكبير [يعني: الأشعري]، أن الألوهية: هي القُدرة، وأن معنى قولك: لا إلٰه إلّا الله؛ أي: لا يقدر على الخلق إلّا الله!

إذا فهمت هذا؛ تبيَّن لك عظم قدرة الله على إضلالِ مَن شاء مع الذَّكاء والفطنة، كأنّهم لم يفهموا قصّة إبليس، ولا قصّة قوم نُوحٍ، وعادٍ، وثمودَ، وهَلُمّ جَرًّا، كما قال شيخ الإسلام في آخر «الحموية»: (أوتوا ذَكاءً، ومَا أوتوا زَكاء، وأوتوا عُلومًا، ومَا أوتوا فُهومًا، وأوتوا سَمعًا، وأبصارًا، وأفئدة ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦]).

وقال أيضًا في «الدُّرر السنية» (١/ ١١٢) وهو يتكلم عن مَعاني التوحيد الثَّلاثة: وأمّا توحيد الصِّفات: فلا يستقيم توحيد الرُّبوبية ولا توحيد الألوهية؛ إلّا بالإقرار بالصّفات، لكن الكُفار: أعقل ممن أنكر الصِّفات، والله أعلم).

[وانظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٣/ ١٦٠)، و«بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٩٤)، و(٥/ ٤٠٥)، و«مدارج السالكين» لابن القيم (٢/ ٤٠٢)، و«الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (١/ ١٥١)، و(٣/ ٩٢٩)، و(٤/ ١٤٠٥) فقد أطالا في ذكر معاني التّوحيد عند الفلاسفة، والجهمية، والأشاعرة، والكُلّابية، وغيرهم].

